

نصيحة الملك الأشرف

كُتِبَتْهَا: الإمامُ الحافظُ ضياءُ الدينِ المقدسيُّ

المتوفى سنة (٦٤٣ هـ) رحمه الله

حَقَّقَهَا وعلق عليها

علي حسن علي عبدالحميد الحلبي الأثري

الحمدُ لله حقَّ حمده ، والصلاة والسلام على نبيه وعبدِهِ ، وعلى آله وصحبه ووفده .

أما بعدُ:

فهذه رسالة علمية دعوية ؛ تُبَيِّنُ حقيقة المنهج الذي سار عليه علماء الإسلام السابقون في مُناصحةِ الحُكَّامِ أولياء الأمور ، وتقديم حقِّ النُصح لهم ؛ استجابةً لأمر الله سبحانه ، واتباعاً لسنةِ رسوله ﷺ .

وأصلُ هذه الرسالة المخطوط من محفوظاتِ ظاهرية دمشق - حرسها الله تعالى - ؛ وهي في المجموع (١١١) ، وهي نسخةٌ عزيزةٌ ؛ إذ إنها نسخة المؤلف ^(١) .

وحتى يتمَّ الانتفاعُ بهذه الرسالة انتفاعاً علمياً تاماً أقدم بين يديها مقدمات:

(١) ولقد نُسخَها - بخط يده - شيخنا العلامة محمد ناصر الدين الألباني ضحى يوم السبت الثالث من جمادى الآخرة سنة (١٣٧٦ هـ) في دمشق ، أي قبل نحو أربعين عاماً ؛ ومنه أخذتها ؛ فجزاه الله خيراً ، وأطال بقاءه ، ونفع به .

١- كلمة في النصيحة

النصيحة في الإسلام نورٌ سارٍ بين الأمة ، تشتدُّ بها صِلَاتها ، وتتوثق من خلالها روابطها ، إذ إنها تُمثِّلُ في حقيقتها « إرادة الخير للمنصوح له » ، كما قال الخطابي في « معالم السنن » (١٢٥/٤) .

وقال الفيروزآبادي في « بصائر ذوي التمييز » (٦٣/٣) : « النصيحة : كلمة جامعة مشتقة من مادة (ن ص ح) الموضوعة لمعنيين : أحدهما : الخُلوص والبقاء .

والثاني : الالتئام والرفاء .

يقال : نصَحَ الشيءُ ؛ إذا خلَصَ ؛ ويمكن أن يكون النصْحُ والنصيحة من هذا المعنى ؛ لأنَّ الناصح يَخْلُصُ للمنصوح له عن الغشِّ .

والمعنى الثاني : نصَحَ الثوبَ نصْحاً ؛ خاطه ... ويُمكن أن تكون النصيحة من هذا المعنى ؛ لأنَّ الناصح يَرِفُا ويُصلح حال المنصوح له ، كما يفعل الخياط بالثوب المخروق .

وفي حديث « الدين النصيحة » - الآتي ذكره - إشارة إلى أهميّة النصيحة ، وذلك بتكريره ﷺ لهذه الجملة ، فبعد هذا منه ﷺ « اهتماماً للمقام ، وإرشاداً للأمة أن يعلموا حقَّ العلم أنَّ الدينَ كله - ظاهره وباطنه - منحصرٌ في النصيحة ، وهي القيام التامُّ بهذه الحقوق الخمسة » ^(١) ، وهي :

أ - النصِّحَ لله سبحانه .

ب - النصِّحَ لكتاب الله عزَّ شأنه .

ج - النصِّحَ لرسوله ﷺ .

د - النصِّحَ لأئمة المسلمين .

هـ - النصِّحَ لعامة المسلمين .

(١) « بهجة قلوب الأبرار » (ص ١٨) للعلامة السُّعدي .

فكلُّ منها له أحكامه ، وله آدابه ، وله شروطه وقواعده ، بحيث لو تُفُذت على وجهها الشرعيّ لكان للمجتمع المسلم مكانته المُميّزة ، وخصائصه المُعتبرة .

والخلاصة أنّ النصيحة كلمة جَمَعَتْ « كُلَّ خير يُتَغنى ويؤمر به ، وكُلُّ شر يُتَقى ويُنهى عنه » ^(١) .

٢- النصيحة لأئمة المسلمين

... ومن تلکم الحقوقِ المُشار إليها آنفاً حقّ النصيحة لأئمة المسلمين وحُكّامهم ؛ « فإنّ الأئمة هم الولاءُ من الخلفاء الراشدين ومن بعدهم ممن يلي أمر الأمة ويقوم به .

ومن نصيحتهم مُعاونتهم على الحقّ ، وطاعتهم فيه ، وأمرهم به ، وتنبيههم وتذكيرهم برفق ، وإعلامهم بما عَقَلُوا عنه ، وتركُ الخروج عليهم ^(٢) ، وتألّف الناس لطاعتهم ، والصلاةُ خلقهم ، والجهادُ معهم ، وأداءُ الصدقاتِ إليهم .

والا يَغُرُّوهم بالثناء الكاذب عليهم ، وأن يُدعى لهم بالصلاح » ^(٣) .

قال العلامة السَّعدي في « بهجة قلوب الأبرار » (ص ١٩) :

« وأمّا النصيحة لأئمة المسلمين - وهم ولأئمتهم ؛ من الإمام الأعظم ، إلى الأمراء والقضاة ، إلى جميع مَنْ لهم ولايةٌ عامّةٌ أو خاصّةٌ - فباعتقادِ ولايتهم ، والسمع والطاعة لهم ، وحثّ الناس على ذلك ، وبذلّ ما يستطيعه من إرشادهم ، وتنبيههم إلى كُلِّ ما ينفعهم وينفعُ الناس ، وإلى القيام بواجبهم » .

(١) « تعظيم قدر الصلاة » : ٦٨١/٢ لابن نصر المروزي .

(٢) وفي هذا تفصيلات فقهية دقيقة ، ليس هنا موضعُ بيانها .

(٣) « البصائر » : ٦٥/٣ .

وقال الحافظ ابنُ حَجَرٍ في « فتح الباري » (١٣٨/١) :

« والنصيحةُ لأئمةَ المسلمين إيعانُهم على ما حُمِّلوا القيام به ، وتنبهُهم عند الغفلة ، وسدُّ خلَّتِهم عند الهفوة ، وجمعُ الكلمةِ عليهم ، وردُّ القلوب النافرة إليهم .

ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن الظلم بالتي هي أحسنُ » .

أقولُ : وأئمةُ المسلمين - حقاً - هم الذين ارتضوا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبالقرآن دستوراً ، وبالرسول ﷺ أسوةً وقدوةً ... ليسوا هم الذين غيَّروا وبدَّلوا ...

وليسوا هم المنحرفين الطاغين الفاجرين ...

وليسوا هم الحاكمين بغير ما أنزل ربُّ العالمين ..

٣- الصِّلة بين العلماء والأمرء

.... الأصلُ في ذلك قوله ﷺ : (وَمَنْ أَتَى السُّلْطَانَ اثْنَتَيْنِ) ^(١) .

لما يترتَّبُ على القُرب من السُّلاطين - غالباً - من مخالفات شرعية ، وسكوت عن الحقِّ ، ورضا بالباطل ... وهكذا .

قال محمد طاهر القُتَيْبِي في « مَجْمَعُ بَحَارِ الْأَنْوَارِ » (٩٩/٤) شارحاً : « وهذا لمن دَخَلَ مُدَاهَنَةً ، وَمَنْ دَخَلَ أَمْرًا وَنَاهِيًا وَنَاصِحًا كَانَ دَخُولُهُ أَفْضَلَ » .

قِمْنِ هَا هُنَا كَانَ دَخُولُ الْعُلَمَاءِ الْمُخْلِصِينَ عَلَى الْحُكَّامِ الصَّادِقِينَ ، الَّذِينَ

(١) رواه أبو داود (٢٨٥٩) والترمذي : ٢٢٥٦ والنسائي : ١٩٥/٧ ، وأحمد : ٣٥٧/١ ، عن ابن عباس بسندٍ ضعيفٍ .

وله شاهدٌ عن أبي هُرَيْرَةَ :

رواه أبو داود : ٢٨٦٠ ، وأحمد : ٣٧١/٢ و ٤٤٠ ، وابن عدي : ٣١٢/١ ، فهو به قويٌّ إن شاء الله .

يَتَّبِعُونَ الْحَقَّ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ .

قال الشيخ عبدالعزيز البذري في كتابه « الإسلام بين العلماء والحُكَّام »
(ص ١٢ - ١٣) :

« ... وهؤلاء الحُكَّام الذين عاصروا عُلماءنا ، ما كانوا يكرهون الإسلام ، ولا يستكبرون عن حكمه وتحكيمه ، بل كانوا يُطَبِّقُونَهُ ، ويرعون شؤون المسلمين على أساسه ، وأعلنوا الحربَ على أعدائه ، ودافعوا عن بيضة المسلمين ، وحمَّوْا حِمَى الإسلام ...

ولكنْ مع ذلك فقد نالت الدنيا منهم بعضَ الشيء ، فحملهم على اتِّباع الهوى في بعض الأمور حِرْصُهُمْ على الحُكْم والسلطان ...
وما أعظمَ فتنة الحُكْم والسلطان !! » .

وقد روى ابن أبي حاتم في « مقدمة الجرح والتعديل » (٣٠/١) عن الإمام مالكٍ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ : إِنَّكَ تَدْخُلُ عَلَى السُّلْطَانِ ! وَهُمْ يَظْلَمُونَ وَيَجُورُونَ !!

فقال مالكٌ رحمه الله : يَرْحَمُكَ اللهُ ! فَأَيْنَ التَّكَلُّمُ بِالْحَقِّ ؟ !
ولقد قال رسولُ الله ﷺ : (أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ ذِي سُلْطَانٍ جَائِرٍ)^(١) .

ومن أجل ذلك طرَقَ العلماءُ أبوابَ السُّلْطَانِ ، لا من أجل الدنيا ، ولكنْ من أجل كلمة حَقٍّ يَقْذِفُونَهَا فِي قُلُوبِ الْحُكَّامِ لَعَلَّ اللهَ يَشْرَحُ بِهَا صُدُورَهُمْ ، وَيُنِيرُ بِهَا قُلُوبَهُمْ .

« وهم - أي : الحُكَّام - في أمسِّ الحاجةِ إلى من يُذَكِّرُهُمْ بالله ، وَيُصَارِحُهُمْ بِأَخْطَائِهِمْ وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى الْخَيْرِ ، وَيُعَلِّمُهُمْ بِأَنْ مَسْئُولِيَةُ الْإِسْلَامِ أَوَّلُ مَا تَقَعُ عَلَيْهِمْ ، وَلَنْ يَنْجُو حَاكِمٌ وَاحِدٌ مِنْ غَضَبِ اللهِ وَسَخَطِهِ إِنْ هُوَ

(١) رواه ابن ماجه: ٤٠١٢ ، وأحمد: ٢٥١/٥ و ٢٥٦ ، عن أبي أمامة بسند حسن .

فَرَطَ فِي حَقِّ اللَّهِ ، وَأَهْمَلَ وَاجِبَهُ كِرَاعَ اسْتِرْعَاةِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ ؛ ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ
الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ^(١) .

وليس هناك عملٌ أفضلُ من هدايةِ الحاكمِ نحوَ الخيرِ ، لأنَّ في صلاحِهِ
صلاحَ البلادِ والعبادِ .

يقول إمامُ دارِ الهجرةِ مالكُ بن أنسٍ : « حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَوْ رَجُلٍ
جَعَلَ اللَّهُ فِي صَدْرِهِ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ وَالْفَقْهِ ، أَنْ يَدْخُلَ عَلَى ذِي سُلْطَانٍ
يَأْمُرُهُ بِالْخَيْرِ وَيَنْهَاهُ عَنِ الشَّرِّ وَيَعْظُمُهُ » ^(٢) .

وَيُعَلِّلُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : « لِأَنَّ الْعَالَمَ إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَى السُّلْطَانِ يَأْمُرُهُ بِالْخَيْرِ
وَيَنْهَاهُ عَنِ الشَّرِّ ، فَمِذَا كَانَ فَهُوَ الْفَضْلُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ فَضْلٌ » .

ذلك لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ دَعَاءٌ بِالسُّلْطَانِ ، وَأَصْحَابُ السُّلْطَانِ دَعَاءٌ بِالسُّلْطَانِ
وَسُلْطَانِهِمْ ، وَبِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ وَأَصْحَابِ السُّلْطَانِ ، وَتَعَاوُنِهِمْ فِي الْخَيْرِ تَقُومُ
الْمَدِينَةُ الْفَاضِلَةُ ، وَيَصْلُحُ أَمْرُ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ ، فَالْعُلَمَاءُ وَرَثَا مِنْ مَقَامِ النَّبَوَةِ
الْعِلْمُ ، وَأَهْلُ السُّلْطَانِ وَرَثَا مِنْ مَقَامِ النَّبَوَةِ الْقُوَّةُ » ^(٣) .

وبالرغم من ذلك كله ؛ فَإِنَّمَا نَرَى عِبَارَاتٍ كَثِيرَةً عَنِ الْعُلَمَاءِ وَالْأُئِمَّةِ فِيهَا
التَّحْذِيرُ مِنْ قُرْبِهِمْ ، أَوْ الْإِتِّصَالُ بِهِمْ ؛ وَمَا ذَاكَ - فِي حَقِيقَتِهِ - إِلَّا خَشْيَةٌ
عَلَى دِينِهِمْ مِنَ الْأَنْسِ بِالْمُنْكَرِ ، أَوْ الرُّضَا بِالْبَاطِلِ ، أَوْ السَّكُوتِ عَلَى
الْإِنْحِرَافِ :

قال حمَّادُ بن سَلَمَةَ : « إِنَّ دَعَاكَ الْأَمِيرُ لَتَقْرَأَ عَلَيْهِ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾
فَلَا تَأْتِهِ » ^(٤) .

(١) الأعراف : ٦ .

(٢) « ترتيب المدارك » : ٢٠٧/١ - ٢٠٨ للفاضل عياض .

(٣) « مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » (ص ٨٤) فاروق
السامرائي .

(٤) « حلية الأولياء » : ٢٥١/٦ .

وما ذاك منه - أو من غيره - رحمه الله إلا سدّاً لبابٍ لا يعلم قراره إلا ربُّ العالمين ، وقد يلجئه من ليس له باهل ، فيُفسد إفساداً عظيماً شديداً .

وصفوهُ القول أن مَنْ عَرَفَ في دينه ثباتاً ، وفي علمه سعةً ، وفي نفسه إخلاصاً ، وفي كلامه صدقاً ، وفي نُصْحِهِ إصلاحاً ، وفي توجيهه استجابةً: وَجَبَ عليه هذا النُّصح ، ولزِمَه ذلك التوجيه ؛ لعلَّ الله سبحانه يُصْلِحُهُ فيُصلِح به

ولقد قال الفضيل بن عياض: « لو أن لنا دعوةً مُستجابةً ما صيرناها إلا للإمام »^(١) .

والمعنى المراد من هذه الكلمة: « إذا جعلتها في نفسي لم تُعْذِني ، وإذا جعلتها في السلطان صَلَحَ ، فَصَلَحَ بِصَلاحِهِ العبادُ والبلاد »^(٢) .

من أجل هذا كان الإمام أحمد يقول: « وإني لأدعو له - أي: الإمام - بالتسديد والتوفيق - في الليل والنهار - والتأييد ، وأرى ذلك واجباً عليّ »^(٣) .

قلتُ: ونحن نقولُ ذلك ، لكنْ .. لمن يرفعُ للإسلام - بالإسلام - رأسه ، ويشدُّدُ على المنحرفِ عنه - المخالفِ له - بأسه ..

والله الهادي - وحده - إلى سواءِ السَّبيل .

(١) « الحلية »: ٩١/٨ - ٩٢ .

(٢) « شرح السنة »: ص ٥١ للبربري .

(٣) « السنة » رقم: ١٤ ، للخلال . وانظر « التاصيل »: ٧٧/١ ، للشيخ بكر أبو زيد .

٤- نماذج من نصائح العلماء للأمراء

وعبر تاريخ الأمة الحافل الثَّرَ نرى صوراً شتى متعددةً مُتنوّعة من نُصح العلماء للأئمة والسلاطين ، نقبسُ منها - في هذه المقدمة الوجيزةِ صورتين :

الأولى : النصُّحُ المباشرُ مواجهةً :

فقد حكى ابنُ خَلْكَان في « وفيات الأعيان » : ٢٦٤/٤ ، أنَّ الإمامَ أبا بكرٍ الطرطوشيَّ دخلَ على الأفضل ابنِ أميرِ الجيوش^(١) بمصر ، فبَسَطَ تحته مِثْرَه ، وكان إلى جانبِ الأفضلِ نصرانيُّ !! فوعظَ الطرطوشيُّ الأفضلَ حتى أبكاه ..

وفي « نفح الطيب » : ٨٧/٢ للمقري شيءٌ من نُصحِهِ المشارِ إليه ، فكان منه قوله له : « إِنَّ الأَمَرَ الذي أَصْبَحْتَ فيه مِنَ المَلِكِ إِنَّمَا صارَ إِلَيْكَ بِمَوْتِ مَنْ كانَ قبْلَكَ ، وهو خارجٌ عنكَ بِمِثْلِ ما صارَ إِلَيْكَ ، فاثقُ اللهَ فيما حولَكَ من هذه الأُمّةِ ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ سائلُكَ عن النقيِرِ والقِطْميرِ والفتيلِ !

واعلم أنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ آتَى سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ مُلْكَ الدُّنْيَا بِحِذَافِيرِهَا ، فَسَخَّرَ لَهُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ وَالشَّيَاطِينَ وَالطَّيْرَ وَالْوَحْشَ وَالْبَهَائِمَ ، وَسَخَّرَ لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ، وَرَفَعَ عَنْهُ حِسَابَ ذَلِكَ أَجْمَعَ ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْتَنِ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾^(٢) فما عَدَّ ذلكَ نِعْمَةً كَمَا عَدَدْتُمُوهَا ! وَلَا حَسِبَهَا كَرَامَةً كَمَا حَسِبْتُمُوهَا ! بَلْ خَافَ أَنْ يَكُونَ اسْتِدْرَاجاً مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَقَالَ : ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾^(٣) فافتح البابَ ، وسهِّلِ الحِجَابَ ، وأنصُرِ المَظْلُومَ .

(١) انظر « النجوم الزاهرة » : ٢٢٢/٥ ، و« البداية والنهاية » : ١٨٨/٢ .

(٢) سورة ص : ٣٩ .

(٣) سورة النمل : ٤٠ .

ثم انشدته مُشيراً إلى النصراني:
يَا ذَا الَّذِي طَاعْتُهُ قُرْبُهُ
إِنَّ الَّذِي شَرَفْتِ مِنْ أَجْلِهِ ^(١) يَزْعُمُ هَذَا ^(٢) أَنَّهُ كَاذِبُ
فَلَمَّا سَمِعَ الْأَفْضَلُ ذَلِكَ أَقَامَ النَّصْرَانِيَّ مِنْ مَوْضِعِهِ ^(٣)
فَانظَرُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - إِلَى اسْتِجَابَةِ الْأَمِيرِ لِنُصْحِ الْعَالَمِ ، وَاتْتِمَارِهِ بِأَمْرِهِ ،
وَقِيَامِهِ بِحَقِّهِ . .

الصورة الثانية: النصيحة المباشرة مكاتبة:

قال ابن العطار في « تحفة الطالبين » : (١٠١) :
« وَكَانَ الْإِمَامُ النَّوويُّ مُوْاجِهًا لِلْمُلُوكِ وَالْجَبَابِرَةِ بِالْإِنْكَارِ ، وَلَا يَأْخُذُهُ فِي
اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ ، وَكَانَ إِذَا عَجَزَ عَنِ الْمَوَاجَهَةِ ؛ كَتَبَ الرِّسَائِلَ ، وَتَوَصَّلَ إِلَى
إِبْلَاغِهَا » .

ومِمَّا كَتَبَهُ لِبَعْضِ سُلَاطِينِ عَصْرِهِ لَمَّا سُلِبَ كَثِيرٌ مِنْ أَمْلَاكِ دِمَشْقَ ،
وَأَخَذَهَا أَعْوَانُ السُّلْطَانِ مِنْ أَصْحَابِهَا:

(١) وهو كتابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ .

(٢) أي: النصراني بسبب كفره .

(٣) وانظر « سير أعلام النبلاء » : ٤٩٢/١٩ .

الحمد لله رب العالمين .

قال الله تعالى: ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(١) .

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ ^(٢) .

وقال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ ^(٣) .

وقد أوجب الله على المكلفين نصيحة السلطان - أعزَّ الله أنصاره - ونصيحة عامة المسلمين ، ففي الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: (الدين النصيحة ؛ لله ولكتابه ، ورسوله ، وأئمة المسلمين وعامتهم) ^(٤) .

ومن نصيحة السلطان - وفقه الله لطاعته ، وتولاه بكرامته - أن يُنهي ^(٥) إليه الأحكام إذا جرت على خلاف قواعد الإسلام .

وأوجب الله تعالى الشفقة على الرعية ، والاهتمام بالضعفة ، وإزالة الضرر عنهم .

قال الله تعالى: ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٦) .

وفي الحديث الصحيح: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّمَا تُنصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ

(١) سورة الذاريات: ٥٥ .

(٢) سورة آل عمران: ١٨٧ .

(٣) سورة المائدة: ٢ .

(٤) سيأتي تخريجه .

(٥) أي يصله ويرفع إليه .

(٦) سورة الحجر: ٨٨ .

بضعفانكم) (١) .

وقال ﷺ : (مَنْ كَشَفَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا ؛ كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا دَامَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ) (٢) .

وقال ﷺ : (اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا ، فَرَقَقَ بِهِمْ ؛ فَارْقُقْ بِهِ ، وَمَنْ شَقَّ عَلَيْهِمْ ؛ فَاشَقِّقْ عَلَيْهِ) (٣) .

وقال ﷺ : (كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) (٤) .

وقال ﷺ : (إِنَّ الْمَقْسِطِينَ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَلَى يَمِينِ الرَّحْمَنِ ؛ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ ، وَأَهْلِيهِمْ ، وَمَا وَلُوا) (٥) .

وقد أنعم الله تعالى علينا وعلى سائر المسلمين بالسُّلطان - أعزَّ الله أنصاره - فقد أقامه لِنُصْرَةِ الدِّينِ ، والدِّبِّ عَنْ الْمُسْلِمِينَ ، وأَذَلَّ بِهِ الْأَعْدَاءَ مِنْ جَمِيعِ الطَّوَائِفِ ، وفتح عليه الفُتُوحَاتِ الْمَشْهُورَةَ فِي الْمَدَّةِ الْيَسِيرَةِ ، وأَوْقَعَ الرُّعْبَ مِنْهُ فِي قُلُوبِ أَعْدَاءِ الدِّينِ ، وسائر المَارِدِينَ ، ومَهَّدَ لَهُ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ ، وقَمَعَ أَهْلَ الزَّيْغِ وَالْفُسَادِ ، وأَمَدَّهُ بِالْإِعَانَةِ وَاللِّطْفِ وَالسَّعَادَةِ .

فلله الحمدُ عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ الْمُنْتَظَاهِرَةِ ، والخَيْرَاتِ الْمُتَكَاثِرَةِ ، ونَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ دَوَامَهَا لَهُ وَلِلْمُسْلِمِينَ ، وَزِيَادَتَهَا فِي خَيْرٍ وَعَافِيَةٍ . آمِينَ .

(١) هو بهذا اللفظ - في « مسند أحمد » : ١٩٨/٥ « وسنن التَّسَانِي » : ٤٥/٦ ، وسُنَنِ التِّرْمِذِيِّ : ١٧٠٢ ، و« صحيح ابن حبان » : ٤٧٦٧ ، بسند صحيح . وهو في « صحيح البخاري » : ٢٨٩٦ ، عن سعد بن أبي وقاص بلفظ : (هَلْ تُنْصَرُونَ إِلَّا بِضِعْفَانِكُمْ) .

(٢) رواه مسلم : ٢٦٩٩ .

(٣) رواه مسلم : ١٨٢٨ .

(٤) رواه البخاري : ٩٨٣ ، ومسلم : ١٨٢٩ .

(٥) رواه مسلم : ١٨٢٧ .

وقد أوجب الله شكرَ نِعَمِهِ ، ووعدَ الزيادةَ للشَّاكرين ، فقال تعالى : ﴿لَنُزِيدَنَّكُمْ شُكْرَكُمْ﴾ (١) .

ولقد لحقَ المسلمين بسببِ هذه الحوَطةِ على أملاكِهِم أنواعٌ من الضرر ، لا يُمكنُ التَّعبيرُ عنها ، وطلبَ منهم إثباتُ لا يلزَمُهُم ، فهذه الحوَطةُ لا تحلُّ عندَ أحدٍ من عُلَماءِ المسلمين ، بل مَنْ في يده شيءٌ ؛ فهو مُلكُهُ ، لا يحلُّ الاعتراضُ عليه ، ولا يُكلفُ بإثباتِهِ .

وقد اشتهرَ من سيرةِ السلطانِ أنَّه يُحبُّ العملَ بالشَّرْعِ ، ويوصي نوابِهِ ، فهو أولى مَنْ عملَ به .

والمسؤولُ إطلاقُ النَّاسِ من هذه الحوَطةِ ، والإفراجُ عن جميعِهِم ، فأطلقَهُم أطلقك الله من كل مكروه ؛ فَهُمْ ضَعْفَةٌ ، وفيهِم الأيتامُ ، والأراملُ ، والمساكينُ ، والضعفَةُ ، والصالِحونَ ، وبِهِم نُصَرَّ وَثَغَاتُ ، وتُرزَقُ ، وهم سكانُ الشامِ المباركِ ، جيرانُ الأنبياءِ - صلواتُ الله وسلامه عليهم - وسكَّانُ ديارِهِم ، فلهم حُرُماتٌ من جهاتٍ .

ولو رأى السُّلطانُ ما يلحقُ النَّاسَ من الشَّدائدِ ؛ لاشتدَّ حُزْنُهُ عليهم ، وأطلقَهُم في الحالِ ، ولم يُؤخِّرْهِم ، ولكن لا تُنهي الأمورُ إليه على وجهها .

فبالله ! أغثِ المسلمين ؛ يُغثِكَ الله ، وارفقَ بِهِم ؛ يَرَفِقَ الله بك ، وعجلْ لَهُم الإفراجَ قبل وقوعِ الأمطارِ ، وتلفِ غلاتِهِم ؛ فإنَّ أكثرَهُم ورثوا هذه الأملاكَ من أسلافِهِم ، ولا يُمكنُهُم تحصيلُ كُتُبِ شِراءٍ ، وقد نُهَبَتْ كُتُبُهُم . وإذا رفقَ السلطانُ بِهِم ؛ حصلَ له دعاءُ رسولِ الله ﷺ لمن رفقَ بآمَتِهِ (٢) ،

(١) سورة إبراهيم : ٧ .

(٢) كما في « صحيح مسلم » : ١٨٢٨ عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : (اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم ، فاشقق عليه ، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم ، فارفق به) .

ونصره على أعدائه ؛ فقد قال الله تعالى : ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ ^(١) .
وتتوَقَّرُ له من رعيته الدَّعَوات ، وتظهرُ في مملكته البركات ، ويُباركُ له
في جميع ما يقصده من الخيرات .

وفي الحديثِ عن رسول الله ﷺ قال : (من سنَّ سُنَّةَ حسنة ؛ فله أجرُها
وأجرُ مَنْ عَمَلَ بها إلى يوم القيامة ، ومن سنَّ سُنَّةَ سيئة ؛ فعليه وزرُها
ووزرُ مَنْ عَمَلَ بها إلى يوم القيامة) ^(٢) .

فنسألُ الله الكريم أن يُوفِّقَ السلطانَ للسُّنَنِ الحسنةِ التي يُذكرُ بها إلى يوم
القيامة ، ويحميه من السُّنَنِ السيئة .

فهذه نصيحتنا الواجبةُ علينا للسلطان ، ونرجو من فضل الله تعالى أن
يُلهمه فيها القبول .

والسَّلام عليكم ورحمة الله .

(١) سورة محمد: ٧ .

(٢) سيأتي تخريجه .

٥- ترجمة الملك الأشرف^(١)

صاحبُ دِمَشقَ ، السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ ، مظفر الدين أبو الفتح موسى شاه أرمن ، ابنُ العادل .

وُلِدَ بِالْقَاهِرَةِ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَسَبْعِينَ ، فَهُوَ مِنْ أَقْرَانِ أَخِيهِ الْمَعْظَمِ .

وَرَوَى عَنْ ابْنِ طَبْرُزْدَ . وَحَدَّثَ عَنْهُ أَيْضاً الْقُوصِيُّ فِي « مَعْجَمِهِ » ، وَسَمِعَ « الصَّحِيحَ » فِي ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ مِنْ ابْنِ الزَّيَّيْدِيِّ . تَمَلَّكَ الْقُدْسَ أَوَّلًا ، ثُمَّ أَعْطَاهُ أَبُوهُ حَرَانَ وَالرُّهَّا وَغَيْرَ ذَلِكَ ، ثُمَّ تَمَلَّكَ خِلَاطَ ، وَتَنَقَّلَتْ بِهِ الْأَحْوَالُ ، ثُمَّ تَمَلَّكَ دِمَشقَ بَعْدَ حَصَارِ النَّاصِرِ بِهَا ، فَعَدَلَ وَخَفَّفَ الْجُورَ ، وَأَحْبَبَتْهُ الرِّعْيَةُ . وَكَانَ فِيهِ دِينٌ وَخَوْفٌ مِنَ اللَّهِ - عَلَى لَعْبِهِ - ، وَكَانَ جَوَادًا ، سَمَحًا ، فَارِسًا ، شَجَاعًا ، لَدَيْهِ فَضِيلَةٌ .

وَلَمَّا مَرَّ بِحَلَبِ سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتْمِائَةِ تَلَقَّاهُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ ابْنَ عَمِّهِ وَأَنْزَلَهُ فِي الْقَلْعَةِ ، وَبَالَغَ فِي الْإِنْفَاقِ عَلَيْهِ ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ خَمْسَةَ وَعِشْرِينَ يَوْمًا ، فَلَعَلَّهُ نَابَهُ فِيهَا لِأَجَلِهِ خَمْسُونَ أَلْفَ دِينَارٍ ، ثُمَّ قَدَّمَ لَهُ تَقْدِيمَةً وَهِيَ : مِائَةُ بُقْجَةٍ مَعَ مِائَةِ مَمْلُوكٍ فِيهَا فَاخِرُ الثِّيَابِ ، وَخَمْسَةُ وَعِشْرُونَ رَأْسًا مِنَ الْخَيْلِ ، وَعِشْرُونَ بَغْلًا ، وَقَطَارَانِ جَمَالٍ ، وَعِدَّةٌ خِلْعَ لِحَوَاصِهِ ، وَمِائَةُ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَأَشْيَاءَ سِوَى ذَلِكَ .

وَمِنْ سَعَادَتِهِ أَنَّ أَخَاهُ الْمَلِكَ الْأَوْحَدَ صَاحِبَ خِلَاطِ مَرَضَ فَعَادَهُ الْأَشْرَفُ ، فَاسَّرَ الطَّبِيبُ إِلَيْهِ : إِنَّ أَخَاكَ سَيَمُوتُ ، فَمَاتَ بَعْدَ يَوْمٍ وَاسْتَوْلَى الْأَشْرَفُ عَلَى أَرْمِينِيَّةٍ .

وَكَانَ مَلِيحَ الْهَيْئَةِ ، حُلُوَ الشَّمَائِلِ . قِيلَ : مَا هُزِمَتْ لَهُ رَايَةٌ . وَكَانَ لَهُ عَكُوفٌ عَلَى الْمَلَاهِي وَالْمُسْكَرِ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ ! وَيُسَالَعُ فِي الْخُضُوعِ لِلْفُقَرَاءِ وَيُزَوِّرُهُمْ وَيُعْطِيهِمْ ، وَيُجِيزُ عَلَى الشُّعْرِ ، وَيَبِيعُ فِي رَمَضَانَ بِالْحُلَاوَاتِ إِلَى أَمَاكِنِ الْفُقَرَاءِ ، وَيُشَارِكُ فِي صَنَائِعِ ، وَلَهُ قَهْمٌ وَذِكَاؤٌ وَسِيَاسَةٌ . أَخْرَبَ

(١) وهي مختصرة من « سير أعلام النبلاء » : ١٢٢/٢٢ - ١٢٧ .

خانَ العقِيبة ، وعمله جامعاً .

قال سِنْبُطُ الجوزي: فجلستُ فيه ، وحَضَرَ الأشرَفُ وبكى وأعتق جماعة .
وعمل مسجدَ بابِ النَّصْر ، ودار السَّعادة ، ومسجدَ أبي الدرداء ، وجامعَ
جراح ، وداري الحديثِ بالبلد وبالسفح والدَّهْشَةِ ، وجامعَ بنت الأبار .

قال سِنْبُطُ الجوزي: كان الأشرَفُ يحضر مجالسي بحرَّان ، وبخِلاط ،
وِدْمَشق ، وكان ملكاً عَفِيفاً ، قال لي: ما مددتُ عيني إلى حريم أحدٍ ولا
ذكرٍ ولا أنثى ؛ جاءني عَجُوزٌ من عند بنت صاحب خِلاط شاه أرمن بأنَّ
الحاجب عليّاً أخذ لها ضيعة ، فكتبت بإطلاقها، فقالت العَجُوزُ: تريد أنْ
تحضَرَ بين يديك . فقلت: باسم الله ، فجاءت بها فلم أرَ أحسنَ من قوامِها
ولا أحسنَ من شكلِها فَخَدَمْتُ ، فُقِمْتُ لها، وقلتُ: أنتِ في هذا البلد
وأنا لا أدري ؟

فَسَقَرْتُ عن وجهِ أضاءت منه العُرْفَةُ ، فقلت: لا ، استتري . فقالت:
مات أبي واستولى على المدينة بَكْتُمُرٌ ، ثم أخذ الحاجبُ قريتي ، وبقيتُ
أعيشُ من عَمَلِ النَّقْشِ وفي دارٍ بالكراء .

فبكِيتُ لها ، وأمرتُ لها بدار وقِماش ، فقالت العَجُوزُ: يا خَوْنُدُ أَلَا
تحظى الليلة بك ؟ فوقع في قلبي تَغْيِيرُ الزمان وأن خِلاط يملكها غيري ،
وتحتاجُ بنتي أن تقَعِدَ هذه القعدة ^(١) ، فقلت: معاذ الله ما هذا من شيمتي .
فقامت الشابةُ باكيةً تقول: صان الله عواقبك .

وله شعْرٌ فيما قيل .

قال: وكنتُ أغشاه في مرضه ، فقلت له: استعدَّ للقاء الله فما يضرُّ ،
فقال: لا والله بل ينفعُ ، فَفَرَّقَ البلادَ ، وأعتق مماليكَه نحو مئتين ، ووقف
دار السَّعادة والدَّهْشَةَ على بنته .

وقال ابنُ واصل: خَلَفَ بَتّاً فتزوَّجها الملكُ الجواد ، فلَمَّا تَسَلَطَنَ عَمُّها

(١) الله أكبر ! ما أعزَّ الشرفَ عند أهل الإسلام !

الصَّالِحُ فَنَسَخَ نِكَاحَهَا ، ولأنه حلف بطلاقها على شيء فعله ، ثم زوجهها بولده المتصور محمد ، فدامت في صحبته إلى اليوم .

وكان للأشرف مِثْلٌ إلى المحدثين والحنابلة ؛ قال ابنُ واصل: وقعتُ فتنَةً بين الشافعية والحنابلة بسبب العقائد ، قال: وتُعصَّبُ الشيخ عز الدين بن عبد السلام على الحنابلة ، وجرت خِبطَةٌ ، حتى كتب عز الدين رحمه الله إلى الأشرف يَقَعُ فيهم ، وأن الناصحَ ساعدَ على فتح باب السلامة لعسكر الظاهر والأفضل عندما حاصروا العادل ، فكتب الأشرف: يا عز الدين الفتنة ساكنة لعن الله مُثيرَها ، وأما بابُ السلامة فكما قيل:

وَجُرْمُ جَرَّةِ سَفْهَاءِ قَوْمٍ فحَلَّ بِغَيْرِ جَانِيهِ الْعَذَابُ
وقد تاب الأشرفُ في مرضه وابتهل ، وأكثر الذِّكْرَ والاستغفار .

قلت: مَرَضَ مرضين مختلفين في أعلاه وأسفله ، فقليل: كان الجرائحي يُخرجُ من رأسه عظاماً ، وهو يحمّدُ الله .

وقال ابنُ حَمَوَيْهِ: كان به دما ملُ في رأسه ومخرجه ، وتأسَفَ الخلقُ عليه . قلتُ: كان يبالغُ في تعظيم الشيخ الفقيه^(١) ، تَوْضِئاً لفقهِه يوماً ، فوثب الأشرفُ ، وحلَّ من تخفيفته ورماها على يَدَيِ الشيخ لِيُشْفَ بها . رأى ذلك شيخنا أبو الحسين ، وحكاها لي .

مات في رابع المحرم سنة خمس وثلاثين وستمائة ، وكان آخر كلامه « لا إله إلا الله » فيما قيل^(٢) .

رحمه الله ، وعفا عنه .

(١) هو اليونيني ، ستأتي ترجمته .

(٢) انظر في ترجمته - أيضاً - « التكملة » : ٢٧٧٥ ، للمنزري ، و « وفيات الأعيان » : ٣٣٥/٥ ، و « العبر في أخبار من عَبر » : ١٤٦/٥ ، و « البداية والنهاية » : ١٤٦/١٣ .

٦- ترجمة الإمام الضياء المقدسي^(١)

هو محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور السعدي ، المقدسي ، الصالح ، الحافظ الكبير ، ضياء الدين أبو عبدالله بن أبي أحمد .

مُحَدَّثُ عصره ، ووحيدُ دهره ، وشهرته تُغني عن الإطناب في ذكره ، والاشتهار في أمره .

ولد في خامس جمادى الآخرة سنة تسع وستين وخمسمائة . كذا وُجد بخطه .

وسمع بدمشق من أبي المجدد البانياسي ، والحضير بن هبة الله بن طاووس ، وأحمد بن الموازيني ، وغيرهم .

وسمع بمصر من البوصيري ، وفاطمة بنت سعد الخير ، وجماعة .

وسمع ببغداد الكثير من ابن الجوزي ، وابن المغطوش ، وابن سَكينة ، وابن الأخضر ، وطبقتهم .

وَرَحَلَ مرتين إلى أصبهان ، وسمع بها ما لا يُوصف كثرة .

وكتب بخطه الكثير من الكتب الكبار وغيرها ، ويقال : إنه كتب عن أزيد من خمسمائة شيخ ، وحصل أصولاً كثيرة ، وأقام بهراً ، ومرو ، مدة . وله إجازة من السلفي ، وشهادة .

قال ابن النجار : كُتِبَ عنه ببغداد ونيسابور ، ودمشق .

وهو حافظ ، مُتَقَنٌّ ، ثَبَتٌ ، ثقة ، صدوق نبيل حجة ، عالم بالحديث وأحوال الرجال .

له مجموعات وتخريجات ، وهو ورعٌ تقيٌّ زاهد ، عابدٌ محتاطٌ في أكل

(١) وهي مُلَخَّصةٌ من « ذيل طبقات الخنابلة » : ٢٣٦/٢ - ٢٤٠ ، لابن رجب .

الحلال ، مجاهدٌ في سبيل الله .

ولَعَمْرِي ما رأت عيناى مثله ؛ في نزاهته وعفته ، وحسن طريقته في طلب العلم .

وقال عمرُ بن الحَاجب: شيخنا أبو عبدالله شيخُ وقته ، ونسيجُ وحده ، عِلماً وحفظاً ، وثقةً وديناً ، من العلماء الربانيّين ، وهو أكبرُ من أن يدُلَّ عليه مثلى .

كان شديدَ التحريِّ في الرواية ، مُجتهداً في العبادة ، كثيرَ الذكر ، مُقطّعاً عن الناس ، مُتواضعاً في ذاتِ الله ، سهلاً العارية .

رايتُ جماعةً من المحدّثين ذكروه فاطنّبوا في حقّه ، ومدحوه بالحفظ والزهد .

سألت الزكيّ البرزالي عنه ، فقال: ثقةٌ جبلٌ ، حافظٌ دينٌ .

وقال الشرفُ بن النابلسي: ما رايتُ مثل شيخنا الضياء .

وقال أبو إسحاق الصّريفيّني: كان الحافظ الزاهدُ العابدُ ضياءَ الدين المقدسيّ رفيقي في السّفر ، وصاحبي في الحضر ، وشاهدتُ من كثرةِ فوائده وكثرةِ حديثه وتبحّره فيه .

ونقل الذهبيُّ عن الحافظ المزيّ أنّه كان يقول: الضياءُ أعلم بالحديث والرجالِ من الحافظ عبدالغنيّ ، ولم يكن في وقته مثله .

وقال الذهبيُّ: الإمامُ العالمُ ، الحافظُ الحجةُ ، مُحدّثُ الشام ، وشيخُ السنةِ ضياءُ الدين ، صَنَّفَ ، وصَحَّحَ ولَيَّن ، وجَرَّحَ وعَدَّلَ ، وكان المرجوعُ إليه في هذا الشأن .

وقال الشريفُ أبو العباس الحُسَيني: حدّث بالكثير مدة . وخرّج تخاريجَ كثيرةً مفيدةً ، وصنّفَ تصانيفاً حسنةً .

وكان أحدَ أئمةِ هذا الشأنِ ، عارفاً بالرجالِ وأحوالهم ، والحديثِ صحيحه

وسقيمه ، ورعاً مُتديناً طارحاً للتكلف .

وقال الذهبي أيضاً: بنى مدرسةً على باب الجامع المُظفرى بسفح قاسيون وأعائه عليها بعضُ أهل الخير ، ووقف عليها كُتبه وأجزاءه .

وقال غيره: بناها للمُحدثين والعُرباء الواردين ، مع الفقر والقلّة ، وكان يَني منها جانباً ويصبرُ إلى أن يجتمعَ معه ما يَني به ، ويعملُ فيها بنفسه ، ولم يقبل من أحدٍ فيها شيئاً تورّعاً .

ومناقبه أكثرُ من أن تُحصَرَ ، وإنما أشرتُ إلى بُدّةِ منها .

له تصانيفُ كثيرةٌ ، منها:

كتاب « الأحكام » يعوزُ قليلاً ، في نحو عشرين جزءاً في ثلاثِ مجلداتٍ .

كتاب « الأحاديث المختارة » ^(١) وهي الأحاديثُ التي يصلحُ أن يُحتجَ بها سوى ما في « الصحيحين » ، خرجها من مسموعاته ، كتب منها تسعين جزءاً ولم تُكْمَلْ .

قال بعضُ الأئمة ^(٢): هي خيرٌ من « صحيح » ^(٣) الحاكم .

كتاب « فضائل الأعمال » أربعة أجزاء ^(٤) .

كتاب « فضائل الشّام » ^(٥) ثلاثة أجزاء .

كتاب « مناقب أصحاب الحديث » أربعة أجزاء .

(١) وقد طبع منه ستّ مجلدات .

(٢) هو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، قاله في « مجموع الفتاوى » : ٤٢٦/٢٢ . وانظر « الرسالة المستطرفة » : ١٩ - ٢٠ للكتاني .

(٣) يريد « المستدرک » .

(٤) وقد طبع قريباً ، في مؤسسة الرسالة - بيروت .

(٥) وقد طبع في مصر .

- « صفة الجنة » ثلاثة أجزاء .
- « صفة النار » جزآن .
- « أفراد الصّحيح » جزء و« غرائب » تسعة أجزاء « ذمّ المسكر » جزء ،
« الموبقات » أجزاء كثيرة .
- و« كلام الأموات » جزء .
- « شفاء العليل » جزء « الهجرة إلى أرض الحبشة » جزء .
- « قصة موسى عليه السلام » جزء .
- « فضائل القرآن » جزء .
- « الرواة عن البخاري » جزء .
- « دلائل النبوة » .
- « الإلهيات » ثلاثة أجزاء .
- « فضائل الجهاد » جزء .
- « النهي عن سبّ الأصحاب » ^(١) جزء .
- « الحكايات المستطرفات » أجزاء كثيرة ، فيها أحاديث مخرّجة .
- كتاب « سبب هجرة المقدسة إلى دمشق ، وكرامات مشايخهم » نحو عشرة
أجزاء .
- وأفرد لأكابريهم ^(٢) من العلماء ، لكلّ واحد سيرة في أجزاء كثيرة .
- « أطراف الموضوعات » لابن الجوزي في جزأين ، « تحريم الغيبة » جزء ،
« الموقف والاقتصاص » جزء .
- « الاستدراك » على الحافظ عبد الغني ، في عزوه أحاديث في « دُرر
الأثر » جزء .

(١) تحت الطبع بتحقيق أخينا الشيخ مشهور حسن .

(٢) أي: أكابر علماء المقدسة .

« الاستدراك ، على المشايخ التَّبَلَّ » لابن عساكر جزء .
كتاب « الإرشاد إلى بيان ما أشكل من المرسل في الإسناد » جزء كبير ،
فيه فوائد جلية^(١) .

« الموافقات » جزء .

« طرق حديث الحوض النبوي » جزء .

« أحاديث الحرف والصوت » جزء .

« الأمر باتباع السنن واجتناب البدع »^(٢) جزء .

كتاب « مسند فضالة بن عبيد » جزء .

كتاب « الأمراض والكفارات والطب والرقيات » .

روى عنه ابن نُقْطَة في « استدراكه » ، فقال: حدَّثنا محمد بن عبد الواحد
الجبليّ بالجليل ظاهر دمشق ، وابن النجّار في « تاريخه » ، والبرزالي وعُمر
بن الحاجب ، وابن أخيه القُحْر بن البُخاريّ ، والقاضي تقيّ الدين سليمان ،
وابن القراء ، والنّجم الشُّقْراويّ ، وإسماعيل بن الخباز ، والحسن ابن
الخلال ، والدُّشْتِي ، وأبو بكر بن عبد الدايم ، وعيسى المطعم ، وخلق
كثير .

توفي في يوم الاثنين الثامن عشر من جمادى الآخرة سنة ثلاثٍ وأربعين
وستمائة بسفح قاسيُون ، ودُفِنَ به .

رحمه الله تعالى^(٣) .

(١) وقد ضَمَّنَهُ العلانيُّ كتابه « جامع التحصيل » كما ذكر فيه (ص ١٦٧) .

(٢) وقد طبع بتحقيقي .

(٣) يُنظر لترجمته - أيضاً - « تذكرة الحفاظ » : ٤/١٤٠٥ ، و« الوافي بالوفيات » : ٤/
٦٥ ، و« البداية والنهاية » : ١٣/١٦٩ ، و« شذرات الذهب » : ٥/٢٢٤ .

نصيحة الملك الأشرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته .

والحمد لله الذي استسلم كل شيء لقدرته .

والحمد لله الذي خضع كل شيء لمملكه .

اللهم صل على محمد كما تحب أن تصلي عليه ، وصل على محمد كما أمرت أن تصلي عليه ، وصل على محمد كما ينبغي أن تصلي عليه ، وعلى آله وسلّم .

قال الله تعالى في كتابه: ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(١) .

١- وقال النبي ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه أو لجاره ما يحب لنفسه)^(٢) .

٢- وقال ﷺ: (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)^(٣) .

٣- وقال النبي ﷺ: (الدين النصيحة ، الدين النصيحة)^(٤) .

(١) الذاريات: ٥٥ .

(٢) أخرجه البخاري: رقم: ١٣ ، ومسلم رقم: ٤٥ عن أنس بن مالك . ورواه النسائي: ١١٥/٨ ، وزاد: « من الخير » .

قال الحافظ في « فتح الباري »: ٥٤/١: « والمراد بالنفي كمال الإيمان ، ونفي اسم الشيء على معنى نفي الكمال عنه مستفيض في كلامهم » .

(٣) رواه البخاري: ٦٠١٤ ، ومسلم: ٢٦٢٤ عن عائشة .

وفي الباب عن ابن عمر ، وابن عمرو ، وغيرهما .

(٤) رواه مسلم برقم: ٩٥ عن تميم الداري رضي الله عنه .

وفي الباب عن عدة من الصحابة استوعبت تخريج رواياتهم في جزء مفرد بعنوان « تجريد القرينة في طرق حديث: الدين النصيحة » وهو الجزء رقم: ٢١ من سلسلتي: « الأجزاء الحديثية » .

قيل: لمن يا رسول الله ؟

قال: (الله ، وكتابه ، ولسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم)^(١) .

فإذا جاورَ إنسانٌ إنساناً قَبِئَبي له أن يَنْصَحَهُ^(٢) ، وَيَدُلَّهُ على ما يعلمُ له من الخيرة في أمر دينه ودنياه .

ولما أن سَهَلَ اللهُ تعالى مُجاورةَ الملكِ الأشرفِ لأهل الشام زادهُ اللهُ شرفاً فيما يقربُهُ إليه ، وجَعَلَهُ من حِزْبِهِ الْمُتَوَكِّلِينَ عليه ، وجَنَّبَهُ أهوالَ ما بين يَدَيْهِ ، ووَفَّقَهُ توفيقَ العارفين ، وجَعَلَهُ من أوليائه الْمُتَّقِينَ ، وعبادِهِ الصالحين ؛ وذلك - إن شاء اللهُ - مِمَّا خَارَ له فيه ، فإنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال في غير حديث:

٤- (عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ ، فإنَّ اللهَ قد تَكَفَّلَ لي بالشَّامِ وأهله)^(٣) .

(١) قال ابن الأثير في « جامع الأصول » : ٥٥٨/١١ :
« النصيحة : كلمةٌ يُعَبَّرُ بها عن جُمْلَةٍ ، وهي : إرادةُ الخيرِ للمنصوح له ، وليس يُمكن أن يُعَبَّرَ عن هذه اللفظة بكلمةٍ مُحَصَّرُها وتَجْمَعُ معناها غيرها .
وأصلُ النصيحة في اللغة : الحُلُوصُ .
ومعنى النصيحة لله عزَّ وجلَّ : صحَّةُ الاعتقاد في وحدانيته وإخلاص النية في عبادته .
والنصيحة لكتاب الله تعالى : هو التصديقُ بِهِ ، والعملُ بما فيه .
والنصيحة لرسوله : التصديقُ بنبوته ، وبذلِّ الطاعة فيما أَمَرَ به ونهى عنه .
والنصيحة لأئمة المؤمنين : أن يُطِيعَهُم في الحقِّ ، ولا يرى الخروجَ عليهم بالسيفِ إذا جاروا .
والنصيحة لعامة المسلمين : إرشادهم إلى مصالحهم » أ.هـ .

(٢) كما في حديث جرير بن عبد الله البجلي قال :
« بايَعْتُ رسولَ الله ﷺ على إقامِ الصلاةِ ، وإيتاءِ الزكاةِ ، والنَّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ » .
رواه البخاري : ٥٧ ، ومسلم برقم : ٥٦ .

(٣) رواه الحاكم : ٥١٠/٤ ، وأحمد : ٢٨٨/٥ ، ٣٣ ، وأبو داود : ٢٤٨٣ ، والطحاوي في « مشكل الآثار » : ٣٥/٢ ، من طرق عن عبدالله بن حوالة .
ورواه الطبراني في « المعجم الكبير » : ٥٨/٢٢ / رقم : ١٣٧ ، وفي « مسند الشاميين » : ٣٣٨٢ ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » : ١٠٨/١ ، وابن الجوزي في « العلل المتناهية » : ٣١١/١ ، من طرق عن وائلة بن الأسقع .
وقال شيخنا في « تخريج أحاديث فضائل الشام » (ص ١٢) :
« حديث صحيحٌ جداً » .
ثم قال : « وله شواهد » .

٥- (صفوة الله من بلاده يَجْتَبِي إِلَيْهِ خَيْر عِبَادِهِ)^(١) .

فَتَحَقَّقْ عِنْدَنَا نُصْحَهُ فِيمَا نَعْلَمُهُ ، وَتَذَلُّهُ عَلَى مَا نَرَاهُ صَوَاباً .

وبالله التوفيق:

فَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَشْكُرَ نِعْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾^(٢) .

وقال تعالى: ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمَّنْتُمْ ، وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾^(٣) .

وَإِذَا لَمْ يَشْكُرِ النِّعَمَ بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى خِيفَ مِنْ زَوَالِهَا ، فَإِنَّهُ رُوي عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:

٦- (إِذَا أَعْطَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْعَبْدَ مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ اسْتِدْرَاجٌ)^(٤) .

ثُمَّ نَزَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ فَلَمَّا تَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ

(١) قطعة من الذي قبله .

(٢) إبراهيم: ٧ .

(٣) النساء: ١٤٧ .

(٤) أخرجه أحمد في « المسند »: ١٤٥/٤ ، وفي « الزهد »: ص: ١٢ ، وابن جرير: ١١٥/٧ ، والدُّولابي: ١١١/١ ، والبيهقي في « الأسماء والصفات »: ٤٨٨ ، والخراطي في « فضيلة الشكر » رقم: ٧٢ ، من طرق عن حرملة بن عِمْرَانَ التَّجِيبِي ، عن عُقْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ ، عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ . وهذا إسنادٌ صحيح .

وله طرقٌ أخرى عند الطبراني في « الكبير »: ٢٨٣/١٧ ، وابن عبدالحكم في « فتح مصر » ٢٩٣ .

وانظر « مجمع الزوائد »: ٢٠/٧ ، ٢٤٥/١٠ .

(فائدة): روى ابنُ أبي الدنيا في « الشكر »: ١١٥ ، والبيهقي في « الأسماء والصفات »: ٤٨٩ ، عن سفيان في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ سَتَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٢] ، قال: (يُسْنَعُ عَلَيْهِمُ النِّعَمُ ، وَيَمْنَعُهُمُ الشُّكْرُ) .

مُبْلِسُونَ ﴿١﴾ .

وَيَنْبَغِي أَنْ تُتَقَى الْمَظَالِمُ:

قال الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ، وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (٢) .

وَرَوَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:

٧- (الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (٣) .

وقال فيما يَحْكِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَالَ:

٨- (يَا عِبَادِي ! إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظْلَمُوا) (٤) .

وقال النبي ﷺ لِمُعَاذٍ لَمَّا بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ:

٩- (إِيَّاكَ وَدَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ) (٥) .

(١) سورة الأنعام: ٤٤ .

(٢) سورة الأنبياء: ٤٧ .

(٣) رواه البخاري: ٢٤٤٧ ، ومسلم: ٢٥٧٩ ، عن ابن عمر .
وفي الباب عن جابر ، وابن عمر ، وغيرهما .

(٤) رواه مسلم: ٢٥٧٧ ، عن أبي ذر .
وقد رواه الإمام النووي في « الأذكار »: ص ٤٣٧ بسنده ثم قال: « قال أبو مسهر: قال سعيد بن عبدالعزيز: كان أبو إدريس إذا حَدَّثَ بهذا الحديث جَعَلَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ .
هذا حديثٌ صحيحٌ ، رَوَيْنَاهُ فِي « صحيحِ مُسْلِمٍ » وغيره ، ورجالُ إسناده مُتَنِي إِلَى أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كُلُّهُمْ دِمَشْقِيُّونَ ، وَدَخَلَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دِمَشْقَ .
فاجتمع في هذا الحديث من الفوائد: وَفَتْتُهُ ، وَعُلُوُّهُ ، وَتَسْلُسُلُهُ بِالْدمشقيين رضي الله عنهم وبارك فيهم .

ومنها ما اشتمل عليه من البيان لقواعد عظيمة في أصول الدين وفروعه ، والآداب ، ولطائف القلوب وغيرها ، والله الحمد « ١٠٠ هـ » .
ولشيخ الإسلام ابن تيمية رسالة مفردة في شرحه .

(٥) لم أقف عليه من وصية النبي ﷺ لِمُعَاذٍ ١١ ولكن المرفوع منه صحيحٌ ، وَرَدَّ مِنْ عِدَّةٍ طَرِيقَ ، استوعبها تخريجاً وتعليقاً شيخنا الألباني في كتابه المُسْتَطَاب « سلسة

وَرَوَى عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ:

١٠- « في بعض الكتب التي أنزلها الله على بعض أنبيائه صلى الله عليه وسلم: أيها الملك المبتلى المغرور ! إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ، ولكن بَعَثْتُكَ لِتَرُدَّ عَنِّي دعوة المظلوم ؛ فإني لا أردُّها ، ولو كانت من كافر » ^(١).

وقال النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

١١- (مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ فِي عِرْضِهِ أَوْ مَالِهِ ، فَلْيَتَحَلَّلْهَا مِنْهُ قَبْلَ أَنْ يُؤَخَّذَ حَيْثُ لَا يَكُونُ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَتْ عَلَيْهِ) ^(٢).

وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ:

١٢- (أَتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ ؟) .

قالوا: المفلسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ .

قال: (فإِنَّ الْمُفْلِسَ مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَزَكَاةٍ وَصِيَامٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَقَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ: أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ ، فَطَرَحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِي

= الأحاديث الصحيحة ، رقم: ٧٦٧ .

وانظر « الإحسان إلى تقريب صحيح ابن حبان »: ٨٧٥ .

(١) رواه ابن حبان: ٣٦١ ، وأبو نعيم: ١٦٦/١ ، والأجري في « الأربعين » رقم: ٤٠ - بتحقيقي ، عن أبي ذر .

وفي سننه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني، وهو متروك كما في «الميزان»: ٧٣/١ .
وانظر تمام تخريجه في تعليقي على « الأربعين حديثاً »: ص: ١٣٠ للأجري ، وقارن بـ « الدر المنثور »: ٣٤١/٦ للسيوطي .

(٢) رواه البخاري: ٢٤٤٩ ، ٦٥٣٤ ، عن أبي هريرة .

النَّارِ^(١) .

وَرَوَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ :

١٣- (الْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)^(٢) .

فَتُعْلَمُ لِسَعَادَتِهِ - جَعَلَ اللَّهُ الْخَيْرَ مِنْ عَادَتِهِ - أَنْ بِهِذِهِ الْبَلَدَةِ أَشْيَاءٌ لَا يَحِلُّ فَعْلُهَا
مِثْلُ خَمَارِ الْخُمُورِ^(٣) ، وَدَارِ الطَّعَمِ^(٤) ، وَمَا يُؤْخَذُ عَلَى الْغَالَةِ وَسُوقِ الْغَنَمِ ،
وَشِبْهِ هَذَا كُلِّهِ .

وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ - وَإِنْ كَثُرَتْ - فَإِنْ أَخَذَهَا يَضُرُّ^(٥) فِي ذِمَّةٍ آخِذِهَا ، وَتَبْقَى
تَبِعَتُهَا عَلَيْهِ ، وَيُمنَحُّ عَلَيْهِ بِمَا يَمْلِكُهُ أَكْثَرُ مِنْهَا ، وَلَيْسَ فِيهَا بَرَكَةٌ :

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ
فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(٦)
وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :

١٤- (الْحَلَالُ بَيْنَ ، وَالْحَرَامُ بَيْنَ ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُسْتَبْهَاتٌ ، لَا يَعْلَمُهَا
كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي
الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ ، كَالرَّاعِي يَرعى حَوْلَ الْحِمَى ، يُوشِكُ أَنْ يُخَالِطَ
الْحِمَى ، أَلَا وَإِنْ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى ، وَحِمَى اللَّهِ مُحَارِمُهُ)^(٧) .
فَيَا مَنْ أَكْثَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ مِنَ الْحَلَالِ ! مَا لَكَ^(٨) تَكَدَّرُهُ بِالْحَرَامِ ؟

(١) رواه مسلم : ٢٥٨١ ، عن أبي هريرة .

(٢) رواه البخاري : ٨٥٣ ، ومسلم : ١٨٢٩ ، عن ابن عمر .

(٣) هو الذي يصنع الخمر .

(٤) هي نوعٌ من دور الجبابة ، ولعلها للمكوس ، أو ما يُقال عنه اليوم : الجمارك !!
وقال ابنُ منظور في « لسان العرب » : ٥٩٤/٢ : « يُقال : فلان تُجِبِي لَهُ الطَّعْمَ ،
أي : الخراج والإتاوات » .

وقارن بـ « سير أعلام النبلاء » : ٣٠٥/٢٣ .

(٥) في « الأصل » : « تَضُرُّ » .

(٦) سورة المائدة : ١٠٠ .

(٧) رواه البخاري : ٥٢ ، ومسلم : ١٥٩٩ ، عن الثَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ .

(٨) في « الأصل » : « لِلْمَلِكِ » ، وقال شيخنا مُعَلِّقاً - ومن خطه أنقل : « كَذَا الْأَصْلُ » ،
ولعلَّ الصواب : « لِمَ تُكَدَّرُهُ » .

وقد رُوِيَ عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ:

١٥- (مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ ، كَانَ لَهُ أَجْرُهَا ، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئاً وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ ، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئاً)^(١).

ثُمَّ يَنْظُرُ فِي أَهْلِ السُّجُونِ ، فَإِنَّ بَعْضَهُمْ رَبُّمَا حُبَسَ عَلَى ذَنْبٍ صَغِيرٍ ، وَلَيْسَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُ عَنْهُ ، فَيَقْتَى فِي السُّجْنِ مُدَّةً !^(٢)

وقد بَلَّغْنَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَنَّهُمْ أَكَلُوا إِنْسَاناً مِنَ الْجُوعِ !
وَيَنْظُرُ فِي أَمْرِ الْقَنَاظِرِ^(٣) الَّتِي خَرِبَتْ ، وَالْمَسَارِعَةِ فِي بَنَائِهَا ، فَإِنَّ فِي قِطْعِهَا أَذِيَّةً عَلَى النَّاسِ .

وَيَتَقَدَّمُ إِلَى الْمُحْتَسِبِ^(٤) أَنْ لَا يُسَعَّرَ الْأَشْيَاءَ ، لَكِنْ يَنْظُرُ فِي جَوْدِهَا ، فَإِنَّهُ رُوِيَ أَنَّهُ غَلَا السَّعْرُ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالُوا: سَعَّرَ لَنَا !
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

١٦- (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَلَيْسَ أَحَدٌ يَطْلُبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي أَهْلِ وَلَا مَالٍ)^(٥).

(١) رواه مسلم: ١٠١٧ ، عن جرير بن عبد الله البجلي ، وقد تقدّم .

(٢) فكيف إذا كان مسجوناً لأنه مسلمٌ حَسْبُ !! لأنه يقول: رَبِّيَ اللَّهُ ، ويدعو إلى الله...

﴿ وَمَا تَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾

(٣) هي أشبه ما تكون بالجسور .

(٤) هو صاحب الحِسْبَةِ الأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر .

(٥) رواه أبو داود: ٣٤٥١ ، والترمذي: ١٣١٤ ، وابن ماجه: ٢٢٠٠ ، وأحمد: ١٥٦/٣ ، والدارمي: ٢٤٩/٢ ، عن أنس .

وأشار الحافظ ابن حجر في « التلخيص الحبير »: ١٠٤/٣ ، إلى تصحيحه ، وتابعه شيخنا في « غاية المرام »: ٣٢٣ .

ثُمَّ إِقَامَةُ الْحُدُودِ ^(١) ، فَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ :

١٧- (إِقَامَةُ حَدٍّ فِي الْأَرْضِ خَيْرٌ لَأَهْلِهَا مِنْ مَطَرٍ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا) ^(٢) .

ثُمَّ اجْتِنَابُ الْحُمْرِ ؛ فَقَدْ سَمَّاهَا النَّبِيُّ ﷺ :

١٨- (... أَمَ الْخَبَائِثِ) ^(٣) .

وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ :

١٩- (مُذْمِنُ الْحُمْرِ كَعَابِدٍ وَثَنٍ) ^(٤) .

(١) آه على إقامة الحدود !!

أَيْنَ جُلُ بِلَادِ الْإِسْلَامِ مِنْهَا ؟ ! فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا بَقِيَّةٌ مِنْهَا ... نَسَأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ .

(٢) حَدِيثٌ حَسَنٌ لِمَجْمُوعِ طَرَفِهِ ؛ انْظُرْهَا مُخْرَجَةً فِي « سِلْسَلَةِ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ » : ٢٣١ ، لِشَيْخِنَا الْأَلْبَانِيِّ .

وَقَارَنَ بِهِ « غُوثُ الْمَكْدُودِ فِي تَخْرِيجِ مُتَقَيِّ بْنِ الْجَارُودِ » : ٨٠١ ، لِأَخِينَا الْفَاضِلِ أَبِي إِسْحَاقَ الْحَوِينِيِّ ، وَدِ الْإِحْسَانِ فِي تَقْرِيبِ صَحِيحِ ابْنِ حِبَانَ : ٤٣٩٨ .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَانَ : ٥٣٤٨ ، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي « ذِمِّ الْمُسْكَرِ » رَقْم : ١ ، عَنْ عُثْمَانَ مَرْفُوعاً بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ .

وَصَحَّ مَوْقُوفاً عَلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي « سُنَنِ » : ٣١٥/٨ ، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي « ذِمِّ الْمُسْكَرِ » : رَقْم : ٢ ، وَمِنْ طَرَفِهِ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي « الْوَاهِيَّاتِ » : ١١٢٢ ، وَكَذَا الْبَيْهَقِيُّ فِي « السَّنَنِ الْكُبْرَى » : ٢٨٧/٨ ، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي « الْمُصَنَّفِ » : ١٧٠٦٠ .

وَصَحَّحَهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي « تَفْسِيرِهِ » : ١٨٠/٣ ، وَالزَّيْلَعِيُّ فِي « نَسَبِ الرَّايَةِ » : ٢٩٨/٤ ، وَكَذَا شَيْخُنَا فِي « صَحِيحِ سَنَنِ النَّسَائِيِّ » : ٥٢٣٦ .

(٤) رَوَاهُ ابْنُ حِبَانَ : ٥٣٤٧ ، وَابْنُ عَدِيٍّ فِي « الْكَامِلِ » : ١٥٢٥/٤ ، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي « الْعِلَلِ الْمُتَنَاهِيَةِ » : ١١١٨ ، طَرِيقُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خِرَاشٍ عَنْ الْعَوَّامِ بْنِ حَوْشَبٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ . وَابْنُ خِرَاشٍ ضَعْفُهُ جَمْعُهُ الْمَحْدَّثِينَ . وَتَابِعَهُ حَكِيمُ جُبَيْرٍ :

فَأَخْرَجَهُ الْبَزَّازُ : ٥٩٣٤ ، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي « الْكَبِيرِ » : ١٢٤٢٨ ، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي « الْحَلِيلَةِ » : ٢٥٣/٩ ، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ : ١١١٨ ، مِنْ طَرِيقِ حَكِيمِ ابْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ سَعِيدِ

بْنِ جُبَيْرٍ بِهِ .

وَلَكِنْ حَكِيمًا هَذَا ضَعِيفٌ أَيْضًا ...

وَلَهُ طَرِيقٌ أُخْرَى فِي « مُسْنَدِ أَحْمَدَ » : ٢٧٢/١ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ .

وَرِجَالُهُ كُلُّهُمْ ثِقَاتٌ إِلَّا أَنْ رَاوَاهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مُبْتَهَمٌ . وَلَهُ شَاهِدٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَفِي سَنَدِهِ ضَعْفٌ :

رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ : ٣٣٥٧ ، وَالبخاري في « التاريخ الكبير » : ١٢٩/١ ، فَالْحَدِيثُ بِهَذِهِ الطَّرِيقِ وَالشَّوَاهِدِ صَحِيحٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَرَوَى عَنْهُ ﷺ قَالَ:

٢٠- (لَعِنَتِ الْخَمْرُ عَلَى عَشْرَةِ وجوه: لَعِنَتِ الْخَمْرُ بَعِينَهَا ، وَشَارِبَهَا ، وَسَاقِيَهَا ، وَبَائِعَهَا ، وَمُبْتَاعَهَا ، وَعَاصِرَهَا ، وَمَعْتَصِرَهَا ، وَحَامِلَهَا ، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ ، وَآكِلَ ثَمَنِهَا) ^(١) .

وَرَوَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

٢١- (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مُدْمِنٌ خَمْرٍ ، وَمَنْ مَاتَ وَهُوَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ ، سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ نَهْرِ الْعُوطَةِ ! وَهُوَ مَاءٌ يَسِيلُ مِنْ فُرُوجِ الْمَوْتِ يَتَلَوَّى بِرُوحِهِ أَهْلُ النَّارِ) ^(٢) .

وَسَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ عَنْهَا ؟ فَتَهَاها عَنْهَا ، فَقَالَ: إِنَّمَا أَضْعُهَا لِلدَّوَاءِ !
فَقَالَ:

٢٢- (إِنَّهُ لَيْسَ بِدَوَاءٍ ، وَلَكِنَّهُ دَاءٌ) ^(٣) .

وَقَدْ قِيلَ:

(١) رواه أحمد: ٢٥/٢ ، ٧١ ، والطيالسي: ١٩٥٧ ، وأبو داود: ٣٦٧٤ ، وابن ماجه: ٣٣٨٠ ، والحاكم: ١٤٤/٤ ، عن ابن عمر . وصححه الحاكم ووافقه الذهبي . وهو كما قال ؛ وله طرق وشواهد تُنظر في « الإرواء »: ١٥٢٩ ، و« التلخيص الخبير »: ٧٣/٤ .

(٢) رواه أحمد: ٣٩٩/٤ ، وابن حبان: ٥٣٤٦ ، والحاكم: ١٤٦/٤ ، من طريق أبي حريز ، عن أبي بردة عن أبي موسى مرفوعاً . وأبو حريز: مُخْتَلَفٌ فِي ثَقَاتِهِ ؛ واختار الحافظ ابن حَجَرٍ أَنَّهُ: « صدوق يُخطئ » ، فهو إلى الضعف أقرب . وله شاهدٌ قاصر عند أحمد: ١٤/٣ ، ٨٣ ، عن أبي سعيد الخدري - وفي سنده عطية العوفي - لَا يُقَوِّيه ... فقولُ المعلق على « الإحسان » ١٦٦/١٢: « لعلَّ حديثَ الباب يتقوَّى به ويحسن » غيرُ حسن !!

(٣) رواه مسلم: ١٩٨٤ ، عن طارق بن سُويد .

٢٣- (مَنْ تَرَكَ شَيْئاً لِلَّهِ عَوَّضَهُ اللَّهُ خَيْراً مِنْهُ)^(١) .

وينبغي للعبد أن لا يؤخر التوبة ، فإنَّ الموتَ ربُّما أتى بغتةً ، ويندم حينَ لا ينفعُ الندمُ ، فقد قال اللهُ تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(٢) .

وقال النبي ﷺ:

٢٤- (اللهُ أفرَحُ بتوبةِ عبدهِ مِنْ رجلٍ مرَّ بَارِضٍ دَوِيَّةٍ ، مُهْلِكَةٍ ، وَمَعَهُ راحِلَتُهُ عليها طعامُهُ وشرابُهُ وما يُصْلِحُهُ ، فَتَزَلَّ ونام ، فاستيقظ وقد ذَهَبَتْ ، فطلبَهَا فَعَلَبَتْه عيناه فنامَ ، فاستيقظ ، فإذا راحِلَتُهُ عندَ رأسِهِ ، عليها طعامُهُ وشرابُهُ وما يُصْلِحُهُ)^(٣) .

وروي عن النبي ﷺ:

٢٥- (مِنْ قَبْلِ مغربِ الشَّمْسِ بابٌ مفتوحٌ للتوبةِ ، مسيرُهُ عَرَضُهُ سبعونَ سَنَةً ، فلا يزالُ البابُ مفتوحاً حتَّى تطلعَ الشمسُ مِنْ مغربِها)^(٤) .

وروي عن النبي ﷺ أنه قال:

٢٦- (إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي اليَوْمِ مِثْلَةَ مَرَّةٍ)^(٥) .

(١) بل صحَّ نحوُ هذا مرفوعاً عن النبي ﷺ:

رواه وكيع في « الزهد »: ٣٥٦ ، وأحمد: ٣٦٣/٥ ، والنسائي في « الكبرى » - كما في « التحفة »: ١٩٩/١١ - والقضاعي في « مسند الشهاب »: ١١٣٥ ، عن أحد الصحابة بسند صحيح .

وانظر تعليلي على « موارد الأمان »: ص ١٠٢ .
وقارن بـ « الخطب والمواعظ »: ٨ ، لأبي عبيد القاسم بن سلام .

(٢) سورة النور: ٣١ .

(٣) رواه البخاري: ٥٩٤٩ ، ومسلم: ٢٧٤٤ ، عن ابن مسعود ، والدُّوِيَّةُ: الفلاة والمفاضة .

(٤) رواه الترمذي: ٣٥٣٥ ، والنسائي في « التفسير »: ١٩٨ ، وابن ماجه: ٤٠٧٠ ، والطيايُسي: ١١٦٧ و ١١٦٨ ، وأحمد: ٢٣٩/٤ - ٢٤١ ، عن صفوان بن عسَّال بنحوه ، وسنده حسن .

(٥) رواه مسلم: ٢٧٠٢ ، وأبو داود: ١٥١٥ ، عن الأغر الزني رضي الله عنه .

وقال ابنُ عُمَرَ: إِنَّ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ:

٢٧- (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ) مئة مرة . هذا
وقد عُفِّرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ^(١) .

صلى الله عليه وسلم .

[قال المؤلف]

كُتِبَتْ بِهَذِهِ الْوَصِيَّةِ نُسخةٌ ، وَبَعَثْتُهَا إِلَى الْإِمَامِ الزَّاهِدِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
مُحَمَّدِ الْيُونِنِيِّ ^(٢) .

فَذَكَرَ لِي بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ إِلَى هُنَا .
شعرُ:

يَوْمَ الْحَسَابِ قَرِيحَ الْقَلْبِ حَيْرَانَا	مَثَلُ بِنَفْسِكَ يَا ذَا الذَّنْبِ عُرْيَانَا
وَفِي صَحَائِفَ سُودٍ كُلِّ مَا كَانَا	يَوْمًا تَرَى فِيهِ مَا قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ
بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ لَا يَنْفِيكَ عُدْوَانَا	يَوْمًا يَقُولُ لَكَ الْمَوْلَى كَفَى حَكْمًا
وَانْظُرْ تَرَى فِيهِ شَيْئًا غَيْرَ مَا كَانَا	اقْرَأْ كِتَابَكَ يَا عَبْدِي عَلَى مَهْلٍ
إِقْرَارًا مَنْ يَعْرِفُ الْأَشْيَاءَ عَرَفَانَا	إِذَا قَرَأَهُ وَلَمْ يُنْكِرْ أَقْرَبَ بِهِ
رَبُّ الْبَرِيَّةِ مَنْ فِي عَهْدِهِ خَانَا	كَمْ مِنْ فَضَائِحَ يَوْمَ الْعَرْضِ يُظْهِرُهَا
وَكَانَ يَكْتُمُهَا خِلًا وَإِخْوَانًا	نَادَتْ جَوَارِحُهُ بِالْحَزَنِ نَاطِقَةً
وَالشَّيْخُ أَضْحَى لَدَى النَّيْرَانِ وَلِهَانَا	شَابَ الصَّغَارُ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ كَبُرُوا ^(٣)
عَلَى الْعُصَاةِ وَرَبُّ الْعَرْشِ غَضْبَانَا	وَالنَّارُ تَزْفَرُ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ حَتَقٍ

(١) رواه أحمد: ٢١/٢ ، وأبو داود: ١٥١٦ ، وابن ماجه: ٣٨١٤ ، وابن حبان: ٢٤٥٩ ، وابن السَّيِّ: ٣٦٤ . عن ابن عمر ، وسنده صحيح .
وانظر - لفائدة جليّة - « سلسلة الأحاديث الصحيحة » : ٥٥٦ ، لشيخنا الألباني ، حفظه الله

(٢) توفي سنة: (٦٥١) ، ترجمته في « السَّيَر » : ٢٨٠/٢٣ .

(٣) في « الأصل » : يكبروا ، والصواب ما أثبت .

قال الجليلُ خُذوه يا زبَانِيَتِي
يا ربُّ لا تُخزِنِي يَوْمَ المَعَادِ ولا
غِيْرُهُ:

يا مَنْ إِلِيْهِ بِجُودِهِ اتَّوَسَّلُ
أَدْعُوكَ رَبُّ تَضَرَّعاً وَتَذَلُّلاً
قَدْ قَادَتْنِي أَمَلٌ إِلَيْكَ وَدَلَّنِي
وَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَا تُخَيِّبُ أَمَلاً
فَيَنْوِرُ وَجْهَكَ كُنْ لِدُنْيِي غَافِراً

فَسَيِّقْ بِالْعَبْدِ نَحْوَ النَّارِ عَطْشَانَا
تَجْعَلْ عَلَيَّ يَدِي لِلنَّارِ سُلْطَانَا

وَعَلَيْهِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ أَعُوْذُ
فَإِذَا رَدَدْتَ يَدِي فَمَنْ ذَا أَسْأَلُ
فَقَدْ عَلِيْكَ وَفَاقَةٌ وَتَذَلُّ
اضْحَى لِقَضْلِكَ يَا كَرِيْمُ يُؤْمَلُ
فَعَلَيْكَ فِي غُفْرَانِهِ اتَّوَكَّلُ

[تَمَّتْ بِحَمْدِ اللَّهِ]

—

—

—

—